الصحافي شارل أيوب، واللازمة !!!

الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٦ استمعت إلى حلقة "كلام الناس" التلفزيونية بموضوعية وإمعان. كان اللقاء مع كل من النائب باسم يموت والصحافي شارل أيوب والمحامي الياس الزغبي.

لم أجد صعوبة أو إشكال في استيعاب رسالة المحامي الياس الزغبي الصريحة والمباشرة في سياق طرحه المعارض الغاندي للوضع القائم من احتلال، وحكم محكوم، وطبقة سياسية فاسدة ومفسدة، وانتهاكات للحقوق، واستغباء لذكاء الناس، وحالة اقتصادية مذرية، وتهجير وهجران، وتجنيس للطارئين، وغيرها الكثير من الممارسات السلطوية والميلشياوية الوقحة. شخص الزغبي الأمراض وأسبابها، وعرض لها الحلول العلاجية بشفافية وجرأة مستندا على طروحات النهج الوطني والسياسي الذي يمثل.

بدوره النائب يموت مثل أيضا أفضل تمثيل خط الحريري- الصحراوي والمالي، المنضوي تحت مظلته. وهو خط مفهومه الاقتصادي، ونهجه الميداني، كما أهدافه الفئوية، ارتهان لهيمنة الخارج- الجار، مما أوصل ثلثي المواطنين إلى جحيم الفقر المدقع، ورفع الديون الخارجية إلى ما يزيد عن ٣٧ بليون من دولارات العم سام، مجبراً منذ سنة ١٩٩٠ مليون ونصف من اللبنانيين على الهجرة سعياً وراء لقمة عيش، وهرباً من قمع وإرهاب واضطهاد واستشهاد.

دان الرجل لولي نعمته بالوفاء، ولم يترك وسيلة إلا وامتطاها لاستجداء والي عنجر بتركيزه على ما سماه لجوء العماد عون إلى يهود أميركيين متصهينين للنيل من الشقيقة.

ما لهذا الطبيب المتخرج من جامعة بيروت الأميركية، والمتخصص في الولايات المتحدة، والملم بشكل كافٍ ووافٍ بالنظام الأميركي الديموقراطي وبآلية العمل السياسي فيه، يخبط خبطاً عشواء كالنياق في صحارى الرمل، وهو يعرف قبل غيره أن اتهاماته وهمية، لا تمت للواقع بصلة، وبعيدة كل البعد عن الحقيقة الناصعة.

أما الصحافي الجهبذ شارل أيوب، والطيار السابق، والعروبي المغوار، على ما بان وظهر!! فقد تميزت مداخلاته طوال الثلاث ساعات بالتشويش المتعمد على المحامي الزغبي، وعلى إنشاد "وتسميع اللازمة" السورية على خلفية سرابية العروبة، وعلى أوهام المقاومة من دحر ونحر ورمياً في البحر للأخصام والأعداء، كما بتفتيق الجراح في مهاجمة الرئيس عون بحقد مسعور.

استنزف كل بلاغته الكلامية الفارغة، ولم يربأ حتى من المتاجرة "بمارونيته"، لإفهام الإخوان، ووكلائهم عندنا، بأنه "قد الحمله وبزيادي، وهو ألد من هاجم العماد عون"، إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً في تأدية الدور الطروادي المكلف به، وبدا كالببغاء يدور في حلقات الرتابة الخاوية.

لفتني في أدائه المسرحي ربطه كل الصعاب التي تواجه اللبنانيين برفض شريحة منهم الانتماء للعروبة، وقوله، وهو الماروني الشمالي، إن هذه الشريحة، أي الموارنة هم عرب، إلا أن البعض منهم يرفض هذا الانتماء شكلاً وتفصيلاً، وهنا صلب المشكلة. استمات مراراً بأسلوب استفزازي لتقويل المحامي الزغبي أنه عربي وليس لبناني. غير أن الزغبي بكل وضوح وشفافية وجرأة، أكد بنبرة الواثق والمفتخر أنه لبناني، وهويته لبنانية، ولبنان وطن نهائي لأهله، وليس مقاطعة، وهو منغرس في التاريخ، وليس بحاجة للتكني

بغير هويته وشخصيته وحضارته المميزة. وطلب من أيوب تعريف العروبة ليقرر علـــى ضـــوء التعريـــف انتماءه لها من عدمه، وسأل فيما إذا كان جميع أعضاء الجامعة العربية عرباً، وتحديداً الصومـــال وجـــزر القمر!!

ولأن "لا سوأةَ أسوأ من الكذب، ولأن الكذّاب يخيف نفسه وهو آمن" (الإمام علي) تلعثم الطيار، فتطـــايرت أفكاره واختل توازنه وعاد إلى تكرار اللازمة، أي التهجم على الرئيس عون، وعلى التيار الوطنـــي الحـــر، مدعياً أنه تنظيم دكتاتوري، وما إلى أخر المعزوفة الشامية العنجرية، رافضاً الاستماع إلى دحض الزغبـــي لادعاءاته المريخية المزعومة!!!

لم أكن حتى ذلك اليوم قد تعرفت على عروبة السيد أيوب المنبطحة، ولم يحصل لي شرف التمتع بمداخلاتـــه المقاومتية الشرسة، ولا استلهام نظرياته القومية الفذة. أما الآن فقد حلت عليّ هذه النعمة عـــبر الأقمـــار الصناعية!!

إن هرطقات الرجل زادت فعلا إيماني بلبنانيتي، وتشبثي بهوية الأباء والأجداد، ثم ضـــاعفت تعلق ي بقيـــم وطروحات التيار الوطني الحر، كما ترسخت قناعاتي بكل ما قام ويقوم به العماد عون لدي مراكـــز القـ ـرار الدولية لاستعادة الوطن المغتصب السليب، ليس فقط من مدّعي أخوتنا، بل أيضاً من شريحة لبنانية، طاقمها من كافة الطوائف، تخلت عن جلدها وخلدها وآدابها والأخلاق، فراحت تستجدي جلـــود الآخريـــن وتعفـ ـر جباهها على أعتاب أبوابهم.

فشل السيد أيوب في تأليب اللبنانيين ضد الرئيس عون، كما أبلي بلاءً صبيانيا تـــهريجياً فـــي اســـتحضار الماضي ونكء الجراح. ولن يجهلن سامع أو مشاهد أن محاولاته المشبعة بالبغض والضغينة الهادفة إلـــى زرع الشقاق بين شرائحنا المتماسكة لم تحقق مراميها.

خلاصة القول، لا لون، لا طعم، لا رائحة لنهج السيد أيوب، فهو نهج على ما يلـــوح، يماشـــي الماشـــي، ويركب مع الراكب. أما مشكلة الأستاذ الشخصية، أو لنقل عقدته، فتكمن برأينا في أن القوى التـــي تُســـير "البوسطات والفانات والمحادل والكسارات" على خط عنجر – ساحة النجمة، لم تحجز له حتى الآن مقعـــداً في أي منها، رغم تمتعه بكل مواصفات القدح والمدح المطلوبة قرداحياً، والتي خلعت علـــى أقرانـــه لقـــب "نائب".

وهنا السؤال يطرح نفسه، هل للسيد أيوب برد الجواب! يوم كان في الجيش، هل أقيل، أم استقال، أم نمـــي إليه بالتنحي؟ !!!

لأنه أيوب، فهو سيصبر مع الصابرين، وينتظر دوره دون يأس، ولن يترك مناسبة دون التذكير بأنه حـــي يرزق، وذلك لأنه حافظ "من إيام حافظ". حافظ اللازمة وكل ما يلزم!!!.

مسك الختام للإمام علي: "لا صديقَ لمتلون، ولا وفاء لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا مروءة لدنيء".

أصحيح!! ما بيستحوا، ماتوا اللي كانوا يستحوا !!.

٢٠٠٤/٥/١٤